

المحور 9: تطبيقات البنيوية التكوينية في النقد العربي.  
تجربة "الطاهر لبيب" في كتاب (سوسيولوجيا الغزل العربي /الشعر العذري  
نموذجاً)

### تقديم:

تعد قراءة "الطاهر لبيب" من الدراسات المبكرة التي تبنت المنهج البنيوي التكويني، فضلاً على أن صاحبها قارب ظاهرة شعرية عربية لأول مرة، والشعر من الأجناس التي نادراً ما دخلت مجال التجريب والممارسة النقدية من المنظور البنيوي التكويني، بل هو من الأجناس المستعصية على الدراسة في نظر بعض الباحثين وعموماً فإن "الطاهر لبيب" يعد من أبرز النقاد العرب الذين تمثلوا المنهج البنيوي التكويني، الأمر الذي مكنه من أن يحدد رؤية شاملة عنه، وبهذا تمكن "الطاهر لبيب" من إخضاع المنهج وتلبيبه لطبيعة التجربة الشعرية الغزلية عند الشعراء العذريين العرب. فما طبيعة مقارنته؟ وما خصائصها؟.

### التصور المنهجي والاشتغال :

يعد منهج "الطاهر لبيب" ثمرة قراءات واسعة في أصول البنيوية التكوينية حيث كيف خطواتها الإجرائية مع طبيعة الشعر العذري العربي، واقتصر على "ما هو جوهري من خطوات "لوسيان جولدمان" البنيوية التكوينية.

- يمكن اعتبار الأبواب الثلاثة الأولى هي مرحلة (الفهم) للبنية العميقة الدالة للشعر العذري، واقتضت هذه الخطوة من الباحث،- بهدف تحقيق مستوى الفهم – البحث عن " الجوهري" أي البحث عن العلاقة بين اللغة العربية، بوصفها نظاماً ، ليخلص إلى أن التعارض بين الرجل والمرأة كان اللسان العربي قد أقامه.

لقد كان هدف الباحث فهم العلاقة بين الرجل والمرأة في حياة العرب ولم يتمكن من ذلك إلا عن طريق آلية (التماثل) التي ساعدته على تمثلها في نظام اللغة نفسه، أي أن نظام اللغة العربية جسد حقيقة هذه العلاقة، لأن فهمها -منهجياً- يمكن من تمثل رؤية الشاعر العذري وهي رؤية تعكس الحرمان الاجتماعي في سورة الحرمان من المرأة.

- في المستوى الثاني من المقاربة "البنية العميقة الدالة" ركز الباحث على مسألة منهجية أساسية في المنهج التكويني وهي مسألة تحديد البنية الدالة مقاربتها، كما اصطلح عليها "الطاهر لبيب" وهو في هذا الإجراء يحذو حذو "جولدمان" في أبحاثه النظرية والتطبيقية ومن هذا الباب كانت نظرة الباحث نظره تحديديه شمولية، يؤكد عليها في قوله " إن النتائج الشعري الذي نحن بصددده يشكل كلية متماسكة"

انطلاقاً من مبدأ التماثل بين الكون الإبداعي والعالم الواقعي وليس انطلاقاً من جدلية الانعكاس الألي ربط الطاهر لبيب بين الفخر وموضعة المرأة، تفسير ذلك أن الفخر يتأسس على القدرة على (التملك)، والمرأة موضوع التملك الوحيد إلى مجال للتنازل عنه.

إن الخطة الإجرائية التي رسمها الباحث مكنته من دراسة (البنية الشاملة)، محاولة لفهم (البنية الجزئية) للشعر العذري ، وهذه خطة إجرائية وجيهة، إذ لا يفهم الخاص، إلا بمعرفة العام، ولهذا عاد الباحث إلى موضعة النسب باعتبارها موضعة لها صلة بالشعر العذري، فما النتيجة الأولية التي توصل إليها الباحث أن ظهور الشعر العذري لم يكن متأثراً بالإسلام، إنما كان من أسباب التهميش والحرمان الاجتماعي المرتبطة بالظروف الاقتصادية التي

عاشها شعراء الكون العذري، ودراسة شعراء هذا الكون اقتضت منهجيا النظر في العلاقة بين سمات المذكر وبين البنية الذهنية للمجتمع العربي التي أدت إلى تطور العلاقة الرجل / المرأة وتغيير كثير من المفاهيم.

- المستوى الثالث من مرحلة الفهم كانت مركزة على الكون العذري وفي هذه المرحلة ظهرت ملامح المنهج **الجولدماني** حيث أعاد الباحث تعريف كثير من المفاهيم، ومنها مفهوم (العمل الأدبي) الذي أخذ وجهة نظر البعد السوسولوجي، وعن طريق مبدأ (التماثل) بين الباحث أن الإسلام (السبب) لا علاقة له بالعفة (النتيجة) الصراع بين الجمالي/ والعفة صراع (مأساوي).

لفهم (البنية الدالة) للكون الشعر العذري استبعد الباحث مفهوم (الانعكاس) بين الكون العذري وبين معطيات الواقع الاجتماعي والتاريخ، ولم يجد بدا من بعد "التماثل" لتقييم العمل الأدبي، دون عزله عن سياقه ليصل إلى تقييم من مؤداه أن الكون الشعر العذري لا علاقة له بالعقيدة الإسلامية، إنما بالظروف الاجتماعية التي كانت السبب في الحرمان الاجتماعي الذي عرفه الشاعر العذري، واعتقد أن هذا التفسير على الرغم من صرامته إلا أنه ليس بريئا، ففيه تحامل على الإسلام فكيف يقبل الباحث بتأثير جميع العناصر الخارجية لفهم الكون الشعري العذري، ويستثنى الإسلام بوصفه فاعلا مؤثرا ومكونا بانيا في معطيات الواقع الاجتماعي والتاريخي للعصر الذي عاش فيه الشعراء العذريون.

وتميزت الخطة التي انتهجها الباحث بالانطلاق من العام إلى الخاص أي من البنية الشاملة المتمثلة في العصر الذي عاشت الزمرة العذرية إلى البنيات الصغرى ليستخلص إجابة على سؤاله الجوهرى لماذا نشأ هذا الكون الشعري بالذات، إن التفسير الذي توصل إليه **الظاهر لبيب** شبيه بالتفسير الذي جاء به **جولدمان** في كتابه (الإله الخفي) ، حيث إن التهميش الاجتماعي والثقافي الذي تعرضت له الزمرة العذرية مرتبط بالهامشية الاقتصادية وهي التي أدت إلى تصور أن (الحب العذري) يماثل في حرمانه الحرمان الاجتماعي، وهو مظهر من مظاهر الوعي الذي حاولت أن تتجاوز به وضعيتها المأساوية.

## خاتمة

في الختام يمكن القول أن **الظاهر لبيب** قد وفق في دراسة الكوني الشعري العذري وفق المقاربة **الجولدمانية**، مع إدخال نوع من المرونة والليونة على المنهجية البنوية التكوينية، أخذا بعين الاعتبار خصوصية الجنس الأدبي محفظا بالآلية المركزية التي تمكن الباحث من رؤية العالم للمبدع وهي ( التماثل) .